

فرناندو بيسوا: كم تنزهنا معاً... من دون حب

إضاءة

ريكاردو ريبس نُدَّ شعري أساسي من أنداد فرناندو بيسوا .

ولد ريكاردو ريبس - يقول بسوا- داخل روجي يوم ٢٠ يناير ١٩١٤ حوالي الحادية عشرة ليلاً . كنت قد استمعت في اليوم السابق الى نقاش واسع حول المبالغات الخاصة بالفن الحديث . فأسلمت نفسي ، حسب طريقتي ، في الإحساس بالأشياء بدون الإحساس بها ، لموجة رد الفعل اللحظية تلك . عندما تنهت الى ما كنت أفكر فيه ، وجدت أنني وضعت نظرية كلاسيكية جديدة ، وأني كنت أطورها باطراد . وجدت النظرية جميلة ، ورأيت انه سيكون من الأهمية بمكان تطويري إياها وفق مبادئ لا أتبناها ولا أقبلها . وهكذا جاءني فكرة صنع نيو كلاسيكية «علمية» .

في اوبرطو ولد ريبس يوم ١٣ نوفمبر ١٨٨٧ ، أي قبل سنة تقريباً من ميلاد خالقه فرناندو بيسوا ، درس في ثانوية يسوعية . تفرغ لدراسة فقه اللغة اللاتينية ولتابعة دراسة الطب في نفس الآن . عندما تعرف عليه كايرو ، وكامبوس ، كان وقتها طبيباً شاباً شغوفاً بالشعر وبقضايا الادب والفلسفة . معتقداته الملكية اجبرته على العيش بعيداً عن البرتغال ، في منفاه الاختياري في البرازيل . لكنه ظل يتردد على بلده الاصلي كلما سنحت الظروف . بعد وفاة معلمه كايرو توطدت صداقته مع البارودي كامبوس . اما مع فرناندو بيسوا فلم يجز أي تعارف شخصي .

توفي ريبس قبل بضعة ايام من وفاة بسوا . وان كان خوزي ساراماغو في روايته «سنة موت ريكاردو ريبس»

يجعل وفاته تحدث بعد وفاة بسوا بشهور عديدة. في آخر نشيد له يقول:

ما زلت على قيد الحياة

غير مكترث بأحد

أنا مَنْ يُجبر الجميع على الصمت

أنا من يتكلم

يعتبر ريس شاعراً كلاسيكياً مُلْتَنِّناً، يقترب من هوتراس معجمياً، وحتى على مستوى البناء والوزن

والتركيب. مع ضربٍ من المبالغة في الصفاء اللغوي. حسب بيسوا.

وبعد . . .

فقد نشرت لي وزارة الثقافة المغربية في فبراير ٢٠٠٥ مختارات من أناشيد ريكاردو ريس، تضم ٩٦ نشيداً

مترجمة من الاسبانية مع مقارنة دقيقة بالأصل البرتغالي، ويسرني بالمناسبة أن أقدم لقراء الكرملة سبعة عشر

نشيداً من أناشيد ريس، وفي ترجمة أخرى مغايرة ومتفردة لم يسبق نشرها من قبل وبالاعتماد على الترجمة

الاسبانية.

شتاءٌ آخر

بنفس الشكل

سوف يعودُ

شتاءٌ آخرُ

يتلو خريفاً آخر في دورة

الأشياء للأبد.

فأما أنا فمكفناً سيلقاني

بمحبسي الخبيثِ

لطبعي المختارِ

فريسة لا تبدُّ لي الخوونُ

لغايات تفوق العدِّ.

محض تخييل

بسرعة

يمر كل ما يمر

وكل ما يموت

أمام الآلهة

من قبل وقته يموت

كم غير كافٍ كل شيء

لا شيء يعرف

كل شيء محض تخييل

وحسب .

فطوقن بالورود ذاتك

أحب عاقر الشراب

كن صموتاً .

ما تبقى كله هباء .

ليس غير

بورود توجوني

بورود

تنظفي حقاً سريعاً

من أمامي

توجوني

وبأوراق قصيرة

ليس غير .

الى الحقول

الى الحقول

أَسْرَحَ البصر، حببتي نيرا،

ها هي الحقولُ والحقولُ

أعاني من برودة الظلالِ

حيث لن يكون لي بها بصرُ

والجمجمةُ

أحدسها هناك بانتظاري

لا أحسها

وكل ما أجهله

يخدمني جهلي به

أبكي الهنا والآن

أقل من بكائي الغدا

أنا رعية القدر

بلا عيان

ولا حضور

قريباً

وهات الخمر والنسيان

مسكوبين في القدر

فمن منا لماض ظل يذكره

سيضحك أم لآت هو يرقبه؟

من الحيوان

أخذنا الروح، لم نأخذ حياة

وَأَرْجِعُنَا إِلَى قَدْرِ خَفِيِّ
دَائِمِ النِّسْيَانِ
لَيْسَ يَنْتَظِرُ

■ ■ ■

لِفَمِي الْفَانِي
بِيَدِ فَانِيَّةٍ
أَرْفَعُ الْخَمْرَةَ الْآنِيَّةَ
فِي الْكُوبِ الْوَاهِي ، فِيمَا
عَيْنَايَ الْعَمِيَاوَانِ قَرِيبًا
غَائِمَتَانِ تَمَامًا

حُبِّكَ لِي
فَوْقَ الْجَبِينِ أَبْيَضَ شَعْرٍ
كَانَ لِلشَّابِّ الَّذِي قَدُّ كُنْتَهُ
عَيْنَايَ وَمُضْمَهُمَا أَقْلُ
وَهَا فَمِي
مَا عَادَ أَهْلًا لِلْقَبْلِ .
إِنْ كَانَ حُبِّكَ مَا يَزَالُ كَعَهْدِهِ
فَلَا جَلَّهْ أَدْعُوكَ كُفِّي
عَنْ هَوَايَ :
مَعِيَ سَنُخُونُ حُبِّكَ لِي مَعًا .

مثل القمر

كن كاملاً

لتكون أكبر: لا مبالغة ولا . . .

في الكل كلك كن،

وَضَعْ فِي أَصْغَرِ الْأَفْعَالِ

ذَاتَكَ كُلَّهَا

مثل القمر

بضياته يسع المكان

لأنه يحيا هنالك في الأعلى .

أربابنا

أربابنا المبعدون

إخوة العطارد

يأتون في العسق

يأتون للتجسس الخفي

على الحياة

يأتون كي يقاسمونا الندم

والشوق والمشاعر المزيفة

وجودهم هنا

أزاح عنهم الألوهة

فأصبحت أرواحهم عبارة

عن مادة جامدة

قصية مقهورة .

ها إنهم يأتون

قوى بغير جدوى

يَحْمِلُونَا الْآلَامَ وَالْمَتَاعِبَ
وَيُنزِعُونَ مِن يَدِنَا
كَأَنَّمَا مِن كَفِّ خَامِلٍ تَمَلُّ
قَنِينَةَ الْفَرْحِ
يَأْتُونَ قَائِلِينَ آمِنُوا
بِأَنَّ الْعَالَمَ الْمُرْتِي أَوْسَعُ
مِمَّا يُرَى وَيُلْمَسُ
لَا يُغْضِبُنْكُمْ ابُولُو أَوْ جُوبِيثِرُ
لِذَلِكَ
مِنَ الْعَسَقِ
يَجِيءُ هَيْبَرِيُونَ
إِلَى ضِفَافِ الْأَرْضِ يَبْكِي الْعَرَبَةَ
تِلْكَ الَّتِي سَرَقَهَا ابُولُو مِنْهُ .
وَهَا هُوَ الْغُرُوبُ
أَلْوَانُهُ الْأَثْمُ رَبِّ فِي الْأَعَالِي . . .
ثَمَّةُ ارْتِطَاطٌ فِي دَوَائِرٍ وَرَاءَ . . .
إِنَّهُ بَكَاءُ الْآلِهَةِ

مِن دُونَ حَبِّ
أَدْعُوكَ نَيْبِرَا
لِلتَّجْوُلِ ، حَتَّى لَا نَنْسِيَ مَعَا مَا كَانَ .
إِذَا حِينَمَا سَنَشِيخُ حَتْمًا
لَنْ يَكُونَ بُوَسْعِ آلِهَةِ حِفَاةٍ
مَنْحَنَا لُونًا جَدِيدًا لِلْوَجُوهِ ،
وَفْتَوَةٌ أُخْرَى . . .

ولسوف نذكر، جنب منزلنا القديم،
ونحن ممتلئان غمماً،
ما تقطع من خيوط بيننا
ولسوف نذكر كم تنزهنا معاً
من دون حُب، ذات يوم يا نبيرا.

في الألب

الآلهة

فوق الحقيقة يوجدون
وعلمنا نسخ مزيفة
من علمهم بوجود هذا الكون
والكل كل.
عالياً فوق الأعالي الآلهة.
لا علم يمكن أن يحيط بهم هنالك
لكن علينا أن نحب خيالهم
مثل الورود.
ولأنهم لا يظهرن لأعين الرائي
فهم
متشخصون حقيقة مثل الورود
وهم هنالك في الألب
حقيقة إنسية أخرى.

مشهدنا

بلون الخمر أفواه
جباه تحت أزهار

جباة، أذرع بيضاء
عارية وملقاة
بمائدة بلا جلاس .
ذلك هو مشهدنا
الاخير اذن أيا ليديا،
الذي، خرسا،
سنخلد فيه
لدى الأرباب للأبد

هي الريح
دع الريح تمضي
ولا تسألنّها شيئاً
فليس لها غير معنى وحيد:
هي الريح تمضي
أنا قد جعلت دخان القرايين
يعلمون الآن
حتى الأولمب
كتبت العبارات هندي
لكيما أرى عودة الآلهة

هذي الحياة
سعداء هم . أجسادهم
في الأرض ترقد رطبة،
تحت الشجيرات الوريقة؛
لن يعانون بعد من حرّ

ولن يتعرفوا أبداً
على حال القمر
صَبَّ المغارة، يا أبولو كلِّها
فوق المدار
ثبتون! ارجم هذه الشيطان
في السهل، الجروف،
فكل شيء عندكم سهل
أرى ذلك الفتى الماضي
هنالك حيث جثمان - لمن
كان الظليل لآلهة،
لا علم عنده:
خطواته تمضي مغطياً
ما سوف يصبح آتية
لودائماً هندي الحياة
كانت حياة دائماً، مجدداً لحسن خالد.

عدا الخواء
أفضل الورود يا حبيبتني
على الوطن
أفضل المنوليا على الفضيلة
وطالما الحياة لا ترهقني
أتركها تمر من خاللي
إذا أنا بقيت ما أنا عليه .
من لم تعد تهمة الأشياء
ما الذي يعنيه

لو يخسر من يخسر او يفوز؟

هل تَمَّ من بقية

مما يُضيفُه البشرُ

الى الحياة من اشياء

ما يضاف

التي؟ لا ، بتاتاً

عدا الخواء ، اللااكتراث

بالزمن الهروب .

جسد

ها هي ذي المغارة

تقول ،

لم ألقَ من أحببتُ ،

لا من نظرةٍ

ولا ابتسامةٍ هنا مخبئة

آه هنا عيان

هنا قم

هنا يدان ترقدان

طالما عليهما شددتُ

أنا هنا أبكي جسد

أيا رجُل! .

وحدها الأرض

جميعهم ماضون للهباء

الآلهة ،

كذلك المخلصون في ثياب
الآلهة ،
وسائر الأحلام: فارغة مخلصه؛
فالارض وحدها تدوم
في التبدل المحموم .
لا أحد يمنحني الأزهار،
لا الآلهة
ولا المخلصون، لا الأفكار،
هذه التي معي أزهارى
فما الذي أريد
أكثر من أزهارى!

داخل النفس
غرباء
حيثما متنا، جهولون
تماماً نحن، ليديا،
أي شيء ملكنا او يتحدث عنا؟
فلنشيد داخل النفس مغارة
نختبئ فيها،
حيين ازاء الصخب
الكونتي حتى . . .

نصف
نحن نصفان
فنصف ما به نحن

ونصف ما نفكر .
ثم نصف ، عندما تطغى
السيول
يبلغ الشط
ونصف سوف يغرق